الابتسامة المفقودة

رجاء خورشيد - السعودية

.. أول ما وقع نظرها عليه عندما دخلت البنك.. تلك الزجاجة التي يقبع خلفها مجموعة من موظفات البنك، إحداهن كانت ترتدي معطفا وبنطالا أسودين ضيقين، وشعرها بدا وكأنه تحفة شمع منحوتة. وبجانبها كانت تجلس صاحبة الأصباغ المتعددة، فوجهها يكاد لا يبين من كثرة الألوان الصارخة التي تغطي وجهها وشعرها المنتفش بلونه الأحمر الناري يجعلها أكثر نفورا لمن يراها!! والثالثة ترتدي ثيابا أشبه بثياب النوم، تكاد تصف كل جزء من جسمها!!، أحست براءة - حينما رأت هذه الوجوه - بضيق خفي يحيط بها.. إلا أنها قاومت المشاعر التي انتابتها، وتقدمت لتسأل : لقد تم الاتصال بي صباحا وإبلاغي بأني مطلوبة للوظيفة الجديدة.

ردت عليها موظفة البنك صاحبة الشعر القصير:

- هل أنت براءة عيد؟

- نعم..

- اتجهي للدور الثاني لدى مسؤولة التوظيف.

أسرعت براءة نحو درجات السلم، وكأنها تهرب من تلك الوجوه الكئيبة..

* * *

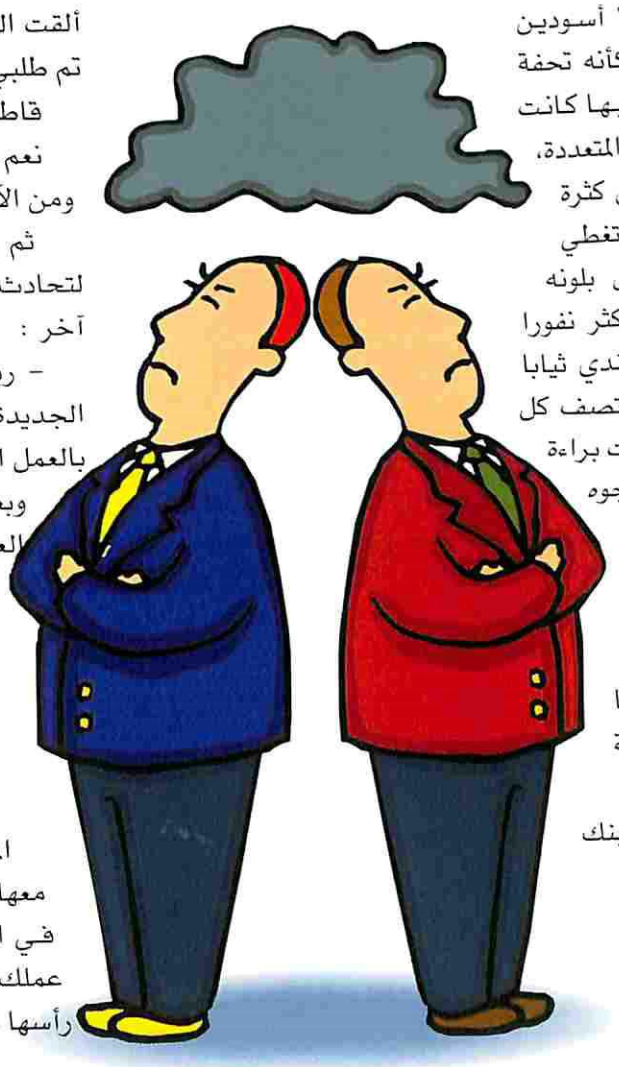

في الدور العلوي.. كانت هدى - مسؤولة التوظيف تجلس على مكتب وثير ترتب بعض الأوراق، جاءها صوت براءة يقول، بعد أن ألقت السلام : أنا براءة عيد، لقد تم طلبي اليوم للوظيفة الجديدة.

قاطعتها هدى قائلة:

نعم.. ستبدئين عملك من اليوم، ومن الآن.

ثم ضغطت على جهاز النداء لتحادث إحدى العاملات في مكان آخر :

- ريما.. لقد جاءت الموظفة الجديدة.. تعالي لأخذها وتعريفها بالعمل المسند.

وبعد لحظات جاءت فتاة في العشرينات من عمرها، نحيلة الجسد، دقيقة الملامح، جعدة الشعر، نظرت إلى الوافدة الجديدة نظرات ازدراء..

قالت هدى لبراءة:

هذه ريما.. إحدى الموظفات لدينا.. ستذهبين معها لتتعرفي على زميلاتك في العمل، ومن ثم تتسلمين عملك الجديد.. هزت براءة رأسها موافقة، ثم تبعت ريما دون أن تلفظ بكلمة.

وفي الطريق، التقت عينا براءة بعيني ريما، وبادرت براءة بالابتسام لريما، إلا أن مرافقتها بادلتها بابتسامة صفراء باردة، وبعدها أكملتا المسير حتى وصلتا لموقع صرف النقود، حيث التقت براءة مرة أخرى بتلك الوجوه التي تركتها أول ما دلفت إلى المكان، وقفت حائرة، هل تبتسم أم تبقى ساكنة تراقب المكان من حولها؟

تبادر لذهنها قول المصطفى ﷺ (تبسمك في وجه أخيك صدقة) اغتصبت ابتسامة صغيرة، وأشاعتها لمن حولها..

كانت ردود الفعل متباينة، فمن كانت بجوارها تجاهلت ابتسامتها، وكأنها لم تر شيئا، والأخرى كأن تيارا كهربائيا قد مسها، والثالثة قد ألقت بابتسامة سريعة مقتضبة.. بعدها انشغلت براءة بعملها الجدي وهي تصرف النقود للعملاء المتوافدين عليها..

* * *

بعد عناء يوم كامل ألقت براءة بجسدها المتعب على سريرها، وبدأ شريط أحداث اليوم الجديد يعرض أمام عينيها.. كيف بدأت عملها على الحاسب الآلي.. وكيف كانت تعد النقود بحرص وحذر وتمهل.. وكيف كانت وجوه من حولها مختلفة.. فهناك العجوز التي أودعت مالا، والشابة التي تريد مالا، وثالثة تستفسر عن رصيدها، ورابعة.. وخامسة.. وفجأة توقفت براءة عند وجه من الوجوه.. أحست بانقباض في صدرها وثقلا يجثم فوق صدرها.. تذكرت تلك الابتسامة الصفراء التي ارتسمت على محيا ريما.. يا ترى لماذا كانت ابتسامتها جافة؟ لماذا لم ترحب بها كما يرحب صاحب الدار بضيفه؟ ثم تذكرت زميلاتها الموجودات في قسم الصرافة، لماذا نفرت إحداهن، وتشاغلت أخرى، وداهنتها الثالثة؟! لماذا كل هذا التقزز والنفور من الابتسامة.. وإن وجدت ابتسامة فهي ابتسامة نفاق ورياء!! أو قل ابتسامة هروب.. الكل يرفض الابتسامة ؟!! وهل الابتسامة عيب أو نقيصة أو أمر كريه بغيض؟!! أخذت تتساءل في نفسها وتدور أسئلة كثيرة في رأسها حتى غلبها النعاس وغطت في نوم عميق..

* * *

تراءى لبراءة فيما يرى النائم، أنها تجمع حزما من أغصان الأراك ملقاة على الأرض.. ورأت نورا ساطعا يشع أمامها.. تناهى لسمعها من يقول : رسول الله قادم، وسمعت صوتا يقول : اثبتي يابراءة فإنك على حق..

بعدها استيقظت براءة على صوت آذان العصر، سرت في جسدها قشعريرة تبعها شعور بالدفء والاطمئنان.. ثم كتبت في مذكرة يومياتها : اللهم أعني على شق طريقي في الحياة بما يرضيك ، وثبتني على الحق ■

أنين الروح

د . محمد إياد العكاري - سورية

يا حادي العيس هل بالركب آرام
من أهل جلق أم للشوق أوهام؟!

ما للظعائن تطوي الأرض والهة
على جناح الهوى والركب أنغام!!

نسائم الوجد قد هبت وريح صبا
يؤانس الخطو والآفاق أحلام..

تقرب العين خلانا إذا عشقت
وترشف الروح ذكراهم وأفهام

إذا سمعت فؤادي خلته بردى
وصورة العين إن شفت بها الشام

وللغريب زفير في تنهده
يصعد الآه والأنفاس آلام

ومرجل الشوق في صدري به صخب
روحي تئن وجرحي ليس يلتام

ومعلم النفس في ذاك الأشم رؤى
طود الشموخ عليه الغار أعلام

من قاسيون يطل المجد ملتحفا
بغوطة الشام والعشاق أقلام

تطوف فيها على أمواج قافية
جمالها البكر إبداع وإلهام

وسفرها خطه بالنور كوكبة
لطالما سُرُجُ الأحرار إقدام

يموت جيل ويبقى العز يحضنها
روح الكرامة فيها إنها الشام!